



## مقدمة الطبعة الثانية

هناك فريق من الباحثين وأصحاب الفكر والقلم لا يؤمنون بالتنجيم أو قراءة المستقبل والغيب أو ما شابه ذلك من استقراء ما في الغد من أحداث . وأنا أنتمى إلى هذا الفريق ، فلا أومن بجديّة علوم الغيب أو التنبؤ بالمستقبل من قراءة الكف وضرب الودع . . إلا في حالة واحدة فقط . . حين يعتمد هذا الغد أو هذا التنبؤ على دراسات جادة وأبحاث أكاديمية أو ميدانية نتبأ من خلال نتائجها المضبوطة بأفاق هذا المستقبل أو ملامحه ! . وهو ما يطلق عليه العلماء في مجال الدراسات النظرية بالنتائج المستقبلية التي في الغالب لا تخطيء أو تكون نسبة الخطأ فيها تكاد لا تذكر .

ووفقاً لهذه النظرة الموضوعية التي تحكم أفكارنا دائماً ، فقد تركنا الباب مفتوحاً عند حديثنا السابق وعبر أوراق هذا الكتاب الذي صدرت طبعته الأولى في عام ١٩٩٢ ، والذي شمل دور المرأة في الملعب السياسي . . أقول لقد تركنا الباب مفتوحاً أمام ظهور المزيد من المشاركات النسائية المتميزة سواء في مصر أو في العالم العربي ، في ظل الظروف الجديدة اجتماعياً أو اقتصادياً ، والتي سوف تساهم كثيراً في تولى المرأة المناصب السياسية العليا وفق الشرعية السياسية الدستورية النابعة من الممارسة الديمقراطية الحقيقية والقائمة على إجراء الانتخابات العامة والاختيار الحر .

وقلنا في هذا السياق إن المستقبل القريب سوف يشهد نماذج نسائية عديدة تقوم بواجباتها السياسية المطلوبة والمرسومة داخل الملعب السياسي المصرى أو العربى دون عوائق أو عراقيل شأنها في ذلك شأن مثيلتها في كل من الهند وباكستان وتركيا وعدد آخر غير قليل من دول العالم الثالث .

ولسنا في حاجة إلى أن نكرر أن الشرعية السياسية الدستورية التي نحلم بها في بلادنا وتكون المرأة على رأس هذه الشرعية بالدخول وبقوة إلى الملعب السياسي تبدأ أولاً من داخل المرأة نفسها وقناعتها بأهمية دورها الكبير في مجال العمل السياسي وإظهار قدرتها على تغيير الواقع الذي قد يفشل فيه الرجل . . هذا التغيير القائم على الدراسة والخبرة والممارسة من أجل تحقيق مستقبل أفضل لبنى جنسها أو لمجتمعها سواء من الرجال أو من النساء . بل لا بد وأن ينبع أيضاً من قدرتها على إقناع الرجل بهذا الدور من خلال ما تقدمه من انتصارات على المستويين الداخلى والخارجى .

وبطبيعة الحال لن تتأتى هذه القناعة إلا إذا بادرت المرأة من تلقاء نفسها بالعمل النشط والنزول بقوة إلى مضمار الملعب السياسي ، ليس من أجل إحراز نتائج مظهرية واستكمال الديكور السياسي لأى نظام سواء في مصر أو في أية دولة عربية . ، وإنما من أجل الكفاح الشريف الذى يتطلب التدرج في العمل الحزبى حتى يتاح لها فرصة إظهار إمكاناتها السياسية والاجتماعية ، وبالتالي تثبت موقعها داخل الملعب السياسى وداخل الشارع أيضاً .

ولابد وأن تظل المرأة على إيمانها بهذا الدور مهما واجهها من صعوبات وعقبات من أجل أن تتمكن من الفوز بالمناصب السياسية المتقدمة سواء على المستوى الحزبى أو الحكومى .

والتجارب المتعددة التى ذكرناها عبر أوراق هذا الكتاب فى طبعته الأولى ، حاولنا من خلالها تقديم خريطة واضحة الخطوط والمعالم لعدد من النسوة اللائى نجحن فى الوقوف وبقوة فى وسط الملعب السياسى ، واستطعن أن يبرهن على أنفسهن ووجودهن من خلال الأعمال البطولية السياسية والاجتماعية جنباً إلى جنب مع الرجل ، بل وقد منا بعض النماذج التى تفوقت على الرجل فى هذا الميدان .

ولقد اتضح من خلال استعراضنا لهذه النماذج الناجحة أننا لم نغفل أية تجربة نسائية ظهرت فى أى مكان فى العالم مهما تباعدت المسافات . وبالتالي فقد شمل حديثنا كل النشاط السياسى للمرأة فى كل قارات الكرة الأرضية ، وفى كل بلدان العالم الثالث والمتقدم .

وفي هذه الطبعة الجديدة من هذا الكتاب التي أشار علينا بها الناشر الكبير محمد رشاد صاحب الدار المصرية اللبنانية ، أضفنا نماذج نسائية جديدة تمكنت من اللحاق بقطار السياسة السريع الذي انطلق من محطته عبر هذه الأوراق في عام ١٩٩٢ . ولم يتوقف حتى هذه اللحظة ، وفي كل مرة يتوقف هذا القطار للحظات تتهز بعض النساء الناجحات سياسياً هذا التوقف لتركب فيه من أجل اللحاق بغيرها من النساء الموجودات منذ فترات طويلة داخل الملعب السياسي سواء المحلى أو العالمى .

وكان في طليعة هؤلاء النسوة . . السياسية الجميلة الناجحة الدكتورة «تانسو تشيلر» رئيس وزراء تركيا السابقة والتي تركت منصبها السياسى إزاء إحدى الأزمات السياسية والتي أطاحت بحزب الرفاة الإسلامى وحزبها . . حزب الطريق المستقيم . . ثم السيدة «وينى مانديلا» التي قضت أكثر من ٥٠ عاماً فى الملعب السياسى مناضلة من أجل مقاومة ومحاربة التفرقة العنصرية حتى وصلت إلى منصب نائب حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى إلى جوار زوجها نيلسون مانديلا رئيس جنوب إفريقيا الحالى .

وأخيراً فقد لحقت السيدة «مادلين أولبرايت» أول من تولى منصب وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية فى العصر الحديث بقطار السياسة السريع . وحجزت لها مكاناً بارزاً فى عربات المقدمة .

وكم كنا نتمنى فى هذا الإطار أن نضيف إلى هذه الطبعة نموذجاً أو أكثر من نساء مصر أو البلاد العربية وقد اعتلين عرش السياسة إما على المستوى الحزبى أو الحكومى .

وكما سبق وذكرنا فإننا لن نفقد الأمل فى ظهور مثل هذه النماذج المشرفة . . وسيظل باب هذه الأوراق مفتوحاً لانضمام نساء أخريات سواء من مصر أو من بعض البلاد العربية أو البلاد الأفريقية أو الآسيوية أو الأوربية أو الأمريكية .

### حنفى المحلاوى

حدائق القبة فى أغسطس عام ١٩٩٧





## مقدمة الطبعة الأولى

يوماً بعد يوم يزداد يقيني بأهمية دور المرأة في الحياة السياسية . . خاصة بعد العديد من الجولات الناجحة التي أظهرت فيها المرأة دوراً بارعاً في خدمة مجتمعها ، من خلال تقلدها منصب الزعامة السياسية شرقاً وغرباً .

هذا الدور لم ينشأ في العصر الحديث وحسب ، بل نشأ مع بداية إحساس الإنسان بالاستقرار على الأرض ورغبته في بناء الحضارة ، وإن اختلف هذا الدور من عصر لآخر وفقاً لمقاييس عديدة بعضها يتعلق بالظروف الاقتصادية ، والبعض الآخر يتعلق بنظرة الإنسان نفسه لدور المرأة في حياته ، ومدى إحساسه بالدور الهام الذي يمكن أن تؤديه في تقديم ألوان من السعادة لحياته ولمجتمعه .

وفي تصورنا أن دور المرأة في الحياة السياسية في عصرنا الحديث أصبح من الأمور الملحة التي تطرق أبواب المجتمعات الشرقية والغربية بعنف ؛ إذ نجحت المرأة في اختراق حاجز الخوف الذي ظل رديحاً من الزمن مرتبطاً بإمكاناتها الجسدية وكونها أنثى ! وقد رأيناها الآن زعيمة سياسية ناجحة تقدم الحلول لأصعب المشاكل التي تواجه مجتمعها .

هذا الدور السياسي الهام الذي تؤديه المرأة الأجنبية لا يزال بعيداً بعد السموات عن الأرض عن منطقتنا العربية .

إن العالم من حولنا يتقدم ويتطور بسرعة مذهلة . . وهذا التقدم والتطور قد امتد

إلى نواحي الحياة كافة ، حتى النظرة إلى المرأة تطورت لدى الرجل ، وأصبحت تمثل بالنسبة له قيمة في حد ذاتها ، بصرف النظر عن كونها أنثى ؛ لأن المقياس هنا ليس بالجنس بقدر ما هو مرتبط بالدور الذي يمكن أن تؤديه لرفاهية المجتمع ، والبحث عن حياة أفضل لأبناء مجتمعا .

لقد خصصنا هذه الدراسة للبحث عن إجابة لهذا السؤال الذي لا يزال حياً نابضاً على كل الأرض العربية :

لماذا لا تتبوأ المرأة العربية المعاصرة منصب الزعامة والرئاسة فتختفى من المسرح السياسي . . برغم أن نظيرتها الأوربية والآسيوية قد تقلدت هذه المناصب السياسية مع أنها لم يكن لها ماضي يذكر على هذا الدرب ؟

ومن أجل الإجابة عن هذا السؤال كانت لنا رحلة طويلة في قلب صفحات الكتب الصفراء قديماً وحديثاً . . وكذلك الاستعانة بكل ما كُتِبَ عن المرأة في الصحف والمجلات والدوريات العربية والأجنبية . ووقفنا على حدود تاريخ البشرية . . واقتربنا كثيراً من الأرض العربية الإسلامية التي أنجبت زعيمات سياسيات عربيات لعبن أدواراً عظيمة سطرها التاريخ بحروف من ذهب على صفحاته القديمة .

بل واكتشفنا أنه في الوقت الذي كانت فيه المرأة خارج المنطقة العربية جغرافياً تعيش حياة مظلمة ومقهورة . كانت المرأة العربية تقود العالم بفكرها وقدرتها على القيادة ، ومررنا معه على كل فترات التاريخ - قديمه وحديثه - حتى نبين الدور الذي قامت به المرأة في شتى المجالات . ولم نغفل تلك الفترات المظلمة التي تعرضت فيها المرأة العربية للتخلف .

أمّا فيما يتعلق بالمرأة خارج المنطقة العربية فلم نجد أي عناء في البحث عنها ؛ لأن الفترة الأولى التي تمثل تاريخها في البشرية كانت معروفة لدينا جميعاً ، حيث كانت لفترة طويلة تعيش عصر الظلام والقهر والاحتقار . وقد ساعدتها الظروف ومقومات المجتمع الذي تعيش فيه على الخروج من هذا الظلم ، فقد تصادف أن كُلاً من المرأة والمجتمع ظل طويلاً يبحث عن الآخر : هي تدور في فلك الثورة على التقاليد من أجل

أن ترى النور وتسهم في بناء حضارة مجتمعا جنبا إلى جنب مع الرجل ، والمجتمع أيضاً ظل يبحث عن دورها من أجل أن تكتمل الصورة . والتقى معاً في منتصف الطريق ، هي بجهودها الشخصية وإيمانها بدورها في خدمة المجتمع ، وكانت النتيجة مانراه الآن على الساحة السياسية الأوربية والآسيوية والأمريكية . . إذ أُفْسِح لها المجال كى تقول كلمتها في عالم السياسة ؛ ومن ثم سلموا لها لواء القيادة . وهي بدورها لم تتوان في خدمة مجتمعها وأدت دورها بنجاح .

والآن لنا أن نستعرض معاً بعض ملامح هذه الدراسة . . فقد آثرنا تقسيم الكتاب إلى جزئين - أو إن شئت قل : كتابين أو بابين - الأول منه يتناول بالحديث المفصل المرأة المصرية والعربية منذ أن كانت تعيش في كنف الرجل ، حين كان على مشارف الحضارة ، ثم توغلنا تاريخياً داخل عقول وقلوب عرب الجاهلة وما بعدها ، حين أهّل على الناس الإسلام وفتح عقولهم وقلوبهم وأنار طريقهم إلى الحق . ثم تطرق الحديث بعد ذلك إلى عصور الجهل والظلام وكيفية خروج المرأة من هذه العصور وكيف استطاعت أن تخرج بصوتها عالياً في الأفق من أجل السماح لها بالمشاركة في بناء المجتمع . وألقينا النظرة الفاحصة على جهود النساء المصريات والعربيات بشكل عام في الكيفية التي استطعن بها الحصول على حقوقهن السياسية الكاملة ، كما تطرقنا بالحديث عن المرأة المصرية بعد ثورة ٢٣ يوليو : وكيف نجح الرجل في تحجيم جهود المرأة في الميدان السياسى . وامتدت هذه النظرة إلى خارج مصر ، حيث اتفقت الأنظمة السياسية كلها تقريباً فوق الأرض العربية على ضرورة تحجيم دور المرأة وإعطائها بالقدر الذى يسمح به الرجل .

ولم نغلق الباب أمام الأمل الذى يتمثل في رؤيتنا المستقبلية لدور المرأة المصرية والعربية في قيادة المجتمع ، وتقديم أحسن الحلول لمشاكله ، والمساعدة في حل ما يعانى منه من أزمات . . ربما يكون طريق حلها ميسراً على يد المرأة التي تمثل نصف المجتمع .

وهذا الباب يتكون من أربعة فصول ، بالإضافة إلى فصل خاص بالتمهيد يحدثنا فيه صاحب الكتاب عن لفظى « المسرح » السياسى و « الملعب » السياسى .

موضحاً الفرق بين اللفظين ، ولماذا يحرص العديد من المراقبين السياسيين والمفكرين على تفضيل لفظ « المسرح » على لفظ « الملعب » .

أما الباب الثاني - أو الكتاب الثاني - ففيه حديث طويل عن تطور المرأة وكفاحها خارج المنطقة العربية من أجل الحصول على حقوقها المدنية والسياسية .

ويوضح لنا صاحب هذا الكتاب من خلال الفصلين الأول والثاني الجهود المضنية - داخلياً وخارجياً - على المستوى النسائي من أجل الوصول إلى اعتراف رسمي من جانب الحكومات - ثم الشعوب - بحقوقها . . . وأنها لم تتوقف عند مجرد الحصول على هذا الاعتراف ، بل استطاعت المرأة أن تخرج بقضيتها إلى المحافل الدولية ، حيث نجحت في إشراك المنظمة الدولية « الأمم المتحدة » ومن قبلها « عصبة الأمم » في هذه المشكلة ، واضطر المجتمع الدولي أمام إصرارها على نيل هذه الحقوق ممثلاً في الأمم المتحدة - إلى إصدار ميثاق حقوق المرأة ، ثم توجيه نداءات عاجلة إلى الدول والحكومات من أجل السماح للمرأة بنيل حقوقها كاملة وغير منقوصة . ثم تخصيص عام دولي من أجل مشاركة النساء في الحصول على حقوقهن في مختلف دول العالم .

أما في الفصلين السابع والثامن فقد حرصنا على نقل العديد من التجارب النسائية الناجحة في ميدان الزعامة السياسية ، وألقينا عليها الأضواء كمثال وتذكرة لأولى الألباب من نساء العرب والمصريين . ولم نفرق في ذلك بين الدول النامية والدول المتقدمة ، كما قدمنا نموذجاً حيويّاً من دولة إسلامية رفعت امرأة ، مثل ( بينظير بوتو ) إلى مصاف الزعماء وسمحوا لها بقيادتهم سياسياً ، ثم عرجنا على دولة إسلامية أخرى مجاورة ، لعبت فيها المرأة ولا تزال الدور الرئيسي في إعادة الحياة الديمقراطية التي فقدت طويلاً على أيدي الرجال العسكريين . إنها دولة بنجلاديش التي تلعب فيها المرأة دور القائد الذي يمثل الحاكم ، ودور المعارض الذي يمثل المراقب الحكيم على تصرفات هذا القائد . وسوف يرى القارئ أن الحاكم امرأة ، والمعارض امرأة ، وهي تجربة قد لا تتكرر على مدى الأزمنة القادمة . وتوضح مدى قناعة شعوب العالم بدور المرأة سياسياً في مجال الحكم والمعارضة .

واختتمنا دراستنا هذه بعقد مقارنة جيدة بين زعيمتين سياسيتين عظيمتين ، هما :  
السيدة ( انديرا غاندى ) والسيدة ( مارجريت تاتشر ) . . وتركنا الباب مفتوحاً  
لحديث زعيمات سياسيات أخريات ربما يظهرن خلال السنوات القليلة القادمة .

**حنفى المحلاوى**